





الصفحة الأولى
Front Page
افتتاحية
منقولات روحيّة
Spiritual Traditions
أسطورة
Mythology
قيم خالدة
Perennial Ethics
إضاءات
Spotlights
إبستمولوجيا
Epistemology

أبناء الأرملة

(الجزء الأول)

في الأسطورة والأصول و...

التأريخ والتوجهات

(محاولة)

أكرم أنطاكي



لأنِّي في النهاية لا أبالي

لا بهمومكم، ولا بنميمتكم...

باربارا – أغنية

Moi, je m'en balance

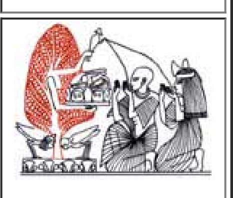
1

مقدمة "محامي الشيطان"

ويصير التكرار مملاً في النهاية! والمصيبة دائمًا هي أن أصحابه، الناطقين بما قد يبدو وكأنه لسان حال "الجماعة" – أية جماعة – لا ينتبهون إلى هذه النقطة. لذلك تراهم يكتبون ويكتبون ويملئون المنابر صياحًا، مهاجمين ذاك الذي يُفترَض أن يُجمِع "الكلُّ" على عدائه – ذلك "الرجيم" الذي يُفترَض أن نحمِّله، دائمًا وأبدًا، بإصرار قد يصل إلى حدِّ البلاهة، مسؤولية جميع مصائبنا؛ ما قد يدفع بنا، نحن القراء المساكين، إما إلى حال من اللامبالاة وعدم الاكتراث، كما هي اليوم حال معظم مثقفينا في دنيا العرب، و/أو إلى الخروج عن المألوف، والمخاطرة بسمعتنا، وربما حتى بأرواحنا، من خلال التعمق في البحث والتمحيص فيما قيل ويقال. الأمر الذي (قد) يوصلنا، بحكم "جهالتنا المستحكمة"، النابعة من "طبيعتنا الإنسانية الفاسدة"، إلى نتائج قد تكون مغايرة لتلك التي توصَّل إليها أولئك "العلماء الأفاضل"! وأحلم أنْ ربما كانت هذه غاية البعض منهم في الحقيقة – ومنذ البداية...

وكان من أوائل "شياطين الفكر" التي قابلتُها في حياتي، ذلك الذي واجهتُه أيام شبابي، في أواخر الخمسينات من القرن الماضي. حينئذٍ كانت الوحدة مع مصر. وكنت، كمعظم أبناء بلدي، متحمِّسًا جدًّا لتلك "التجربة الرائدة"، ومعجبًا، بصفة خاصة، بقائدها السيد الرئيس جمال عبد الناصر، رحمه الله. ولكنني أتذكر جيدًا أيضًا أنه، حينئذٍ، كانت جميع وسائل إعلامنا تهاجم، صباحًا ومساءً فقط، وبإصرار، "شيطانًا رجيمًا" سُمِّيَ آنذاك بـ"الشيوعية" التي كانت تربطها، إلى حدٍّ ما، بالصهيونية – تلك "الشيوعية" التي كان يهاجمُها الغرب أيضًا، وعلى رأسه أمريكا، كما كان يهاجمها حتى إسرائيل – "عدونا اللدود". ولكن، حينئذٍ أيضًا – وكانت بدأت تتسع، إلى حدٍّ ما، دائرة قراءاتي، وكنت قرأت لروسُّو عن مفهوم العدالة الاجتماعية –، كان أستاذٌ وكاهنٌ من مدرستي يلفتان انتباهي إلى الضرورات الأخلاقية لتحقُّق مفاهيم تلك العدالة في عالمنا الحقير هذا؛ أي إلى ما كان يدعى أيضًا، وإنْ من منظورهما، "شيوعية". وكانت نتيجة تعمقي النسبي في دراسة هذا الموضوع، والتقصِّي حوله بعقل وحماس شابٍّ كان حينئذٍ في مقتبل العمر، أني أصبحت شيوعيًّا، وأني بقيت على هذه "الحال التعيسة"، بهذا الشكل أو ذاك، ما يناهز

طبابة بديلة
Alternative Medicine
إيكولوجيا عميقة
Deep Ecology
علم نفس الأعماق
Depth Psychology
اللاعنف والمقاومة
Nonviolence & Resistance
أدب
Literature
كتب وقراءات
Books & Readings
فنّ
Art
مرصد
On the Lookout



العشرين عامًا. وأعترف هنا، للمناسبة، أني مازلت إلى اليوم – لسذاجتي – متأثرًا، إن لم أقل مقتنعًا، بأحد أهمِّ قيمها الإنسانية الخالدة التي هي... **العدالة.**

وكان من أواخر "شياطين الفكر" التي واجهتُها، بدءًا من أواسط الثمانينات من القرن الماضي، يدعى هذه المرة بـ"الماسونية" – تلك التي يجمعون عندنا اليوم أيضًا على ربطها بالصهيونية – التي يحمِّلونها مسؤولية كلِّ "المؤامرات" التي حيكت وتحاك ضدنا و/أو جميع المصائب التي حلَّتْ ومازالت تحلُّ بنا. وكان أيضًا – وإن كان الأمر هذه المرة لأسباب مختلفة، قد يكون بعضها، ربما، عشقي لموسيقى موتسارت و/أو حبي لفولتير و/أو لليف تولستوي، الذين كانوا ماسونيين كبارًا في زمن لم تكن هناك حركة صهيونية بعد! و/أو ربما حبِّي واحترامي لعبد القادر الجزائري، الذي كان من مريدي الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي، و/أو لجمال الدين الأفغاني و/أو لمحمد عبده و/أو لعبد الرحمن الكواكبي، الذي كان قريبي، الأديب والصحفي عبد المسيح الأنطاكي، من أتباعه، والذين كانوا جميعًا أيضًا، كما يقال، من "الفرمسون"، والذين لم يكونوا قطعًا سُذَّجًا و/أو مخدوعين، كما لم يكونوا قطعًا صهاينة و/أو مؤيِّدين للصهيونية – أن دُفِعْتُ للخروج عن المألوف والمتعارَف عليه المفترَض اليوم، وإلى المزيد من التقصِّي حول هذه الظاهرة المثيرة التي انكببتُ سنواتٍ على دراستها بما أتيح لي من إمكانات.

والنتيجة كانت أني لم أصبح ماسونيًّا (بعد) هذه المرة أيها السادة و... – هذه المحاولة المتواضعة، التي أقدمها لكم كمحصلة ونتيجة لما توصلت إليه حولها من استنتاجات وقناعات، قد لا تسرُّ بعضَكم حتمًا... لكن، ليس باليد حيلة. ونبدأ أول ما نبدأ بـ...

2

العنوان...

الذي نرى، قبل الغوص فيه، ضرورة التأكيد على أن مرجعيَّاتنا الأساسية، ضمن سياق هذا البحث، ستعتمد إجمالاً وبشكلٍ عام – لكن طبعًا بعد التدقيق والتمحيص – على ما يقوله أصحاب العلاقة عن أنفسهم أولاً؛ وأيضًا وثانيًا على ما يقوله عنهم "خصومُهم" و/أو، بطبيعة الحال وخاصةً، كتَّاب "محايدون"...

لأن تعبير **أبناء الأرملة** – الذي يُستعمَل عادةً للدلالة على "الفرمسون" – قد يبدو، بادئ ذي بدء، غامضًا بعض الشيء، ويستحق القليل من الشرح لمن ليست لديه فكرة عن الموضوع... حيث...

يقول الماسوني بيريغو[1] Perigou إنه "**... بوسعنا القول إن الفرمسون هم أبناء الأرملة بمعنى أنهم أبناء الطبيعة العذراء دائمًا والمتجددة أبدًا...**". أما الماسونية جيدالج[2] Gédalge فتقول إنه "**... تُطلَق هذه التسمية على الفرمسون للتذكير بالأرملة التي كانت أمَّ المهندس المعمار حيرام؛ وأيضًا، بإيزيس،**

"الأرملة الكبرى" لأوزيريس، من خلال بحثها عن أعضاء زوجها المتناثرة. فكلتاهما يمكن اعتبارهما أمًّا للماسون الذين انطلقوا للبحث عن جسد معلِّمهم حيرام بعد أن اغتاله ثلاثة من رفاق السوء، وما يرمزون إليه من سيئات مدمرة للإنسان هي الجمود والحسِّية والغرور...". أما الماسوني راغون[3] Ragon فيقول إنه "**... في شهر كانون الأول، حين يبدو وكأن شمس الشتاء على وشك أن تغادر أحوالنا المناخية، لتسود فيما نعرفه بنصف الكرة الجنوبي، تظهر الطبيعة وكأنها قد ترمَّلت من زوجها الذي يخصبها كلَّ سنة بمحبته – الأمر الذي يُحزِن أبناءها. لذلك فإن الفرمسون، كتلاميذ للطبيعة، يعيدون تكرار هذه الأقصوصة الجميلة، ويسمون أنفسهم بـ"أبناء الأرملة" (أو أبناء الطبيعة)...".** ويتوسع راغون[4] قائلاً إنه "**... بوسعنا أن نستنتج من هذا التفسير أن حيرام، كمهندس ومعمار لهيكل سليمان، وكبطل للأسطورة الماسونية، هو، من خلال رمزه، *أوزيريس* (أو الشمس)؛ بينما أرملته، التي هي *إيزيس* (أو الطبيعة)، هي المحفل الذي يرمز في الوقت نفسه إلى الأرض. أما حورص، الذي هو ابن أوزيريس، أو ابن الأرملة، فهو الماسوني الساكن في المحفل الأرضي...".** وهذا ما يؤكده أخيرًا المعلم والباحث الماسوني الكبير أوزفالد فيرث[5] Oswald Wirth حين يقول إن "**... الأرملة التي يدَّعي الماسون أنهم أبناؤها هي إيزيس، رمز الطبيعة، والأم الكلِّية، التي هي، في الوقت نفسه، أمُّ أوزيريس، الإله الخفي وموقِد الذكاء...".**

ونجد أنفسنا منذ البداية...

أمام أسطورة جميلة تتحدث عن معلم بنَّاء (و/أو عن ملك) كان يدعى حيرام – وَرَدَ اسمُه في كتاب "العهد القديم" أو "التوراة"، حيث جاء، مثلاً، أنه "**... أرسل الملك سليمان فأخذ حيرام من صور وهو ابن أرملة من سبط نفتالي وأبوه رجل من صور صانع نحاس وكان ممتلئًا حكمة وفهمًا ومعرفة في عمل كلِّ صنعة من النحاس فوفد على الملك سليمان وعمل كلَّ صنعته...**"[6] – وكان، كما يقال، البنَّاء الحقيقي لهيكل سليمان قبل أن يقتله رفاق سوءٍ حاولوا أن ينتزعوا منه "الأسرار المقدسة لمرتبته المهنية الأعلى".

ونجد أنفسنا، بالتالي، من خلال هذه الأسطورة، أمام أسطورة أخرى هي الأساسية والأجمل في الديانة المصرية القديمة، ألا وهي أسطورة الخليقة – وأقصد هنا، أسطورة إيزيس وأوزيريس. لكننا...

إنْ عدنا إلى التسمية أو اللقب الذي هو Free-Mason (بالإنكليزية) أو Franc-maçon (بالفرنسية)، الذي تعني ترجمته الحرفية إلى العربية **البنَّاء-الحر**، فإن الواقع الفعلي والتاريخ الملموس يعيدنا إلى أصول أكثر واقعية (وربما إلى حدِّ ما أكثر تواضعًا)، ألا وهي تجمعات البنَّائين، وخاصة منهم بنَّائي الكاتدرائيات في العصر الوسيط، أولئك الذين كانت لهم طقوسهم وتقاليدهم المتشابهة في معظم البلدان، والذين كانوا "أحرارًا"، بمعنى أنهم لم يكونوا في ذلك الحين عبيدًا أو أقنانًا؛ ومن هنا جاءت تسميتُهم بـ"البنَّائين الأحرار"... أولئك الذين تشهد بعض الوثائق أنهم بدؤوا، منذ نهايات القرن السابع عشر أو أوائل القرن

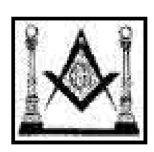
الثامن عشر، بالقبول في تجمعاتهم، على أساس فكري و/أو فلسفي و/أو ربما من منطلق نفعي و/أو ذرائعي، أفرادًا لا علاقة لهم عمليًّا بمهنة البناء الأصلية، كما يشهد على ذلك، مثلاً، التعميم الصادر عام 1703 عن "المحفل الإنكليزي للقديس بولس (حاليًا محفل 2°Antiquity N)، حيث جاء أنه "**... لن تكون الامتيازات الماسونية، من الآن فصاعدًا، ملكًا حصريًّا للبنَّائين العمليين، إنما ستمتد لتشمل رجالاً من مختلف الاختصاصات شريطة أن تتمَّ مسارَرَتهم وقبولهم في الطريقة بشكل نظامي ...**"[7] – مشيرين هنا إلى أن تجمعات معلِّمي الكار هذه، التي تعود من حيث أصولها إلى بدايات الحضارة الإنسانية، أي إلى بنَّائي الأهرامات في مصر القديمة و/أو إلى بنَّائي تلك المنشآت المدنية الرائعة، من أبنية وجسور وطرق ومنشآت ريٍّ ومسارح في العصر الروماني و/أو إلى بنائي قلاع وقصور وكاتدرائيات العصر الوسيط، ما زالت موجودة إلى يومنا هذا في مختلف أقطار أوروبا وفي معظم بلدان العالم. لذلك فإننا حين نتمعَّن...

3

في بدايات الماسونية التأملية[8] الحديثة...

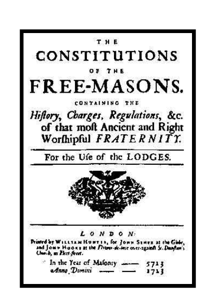
لا بدَّ أن نأخذ بعين الاعتبار ما قاله أوزفالد فيرث[9] بهذا الخصوص من أنه "**... تُعتبَر بعض الأفكار عامل جذب يجمع بين أفراد منعزلين وتصبح، بالتالي، محورًا لتجمعهم. لأن أيَّ تجمع لا يتشكل لمجرد توفُّر جماعة قد تفتقد أول ما تفتقد إلى التوازن أو التجانس. فالتجمع يحتاج حتمًا، كي يتحول من مجرد جمع لأشخاص معينين إلى كلٍّ متجانس، إلى قانون عضوي تستند إليه حياة الجماعة التي يضمها. لأن كلَّ تجمُّع بحاجة إلى فكرة؛ وهذه يجب أن نميِّزها عن الشكل. فالفكرة، أو الروح، هي المولِّد المجرد والجامع؛ بينما الأم هي الشيء الملموس أو الشكل. وهذان العنصران اللذان يشكلان المبادئ الأولى للتنظيم الماسوني يتمثلان بعمودين يرمز أولهما، الذي يمثل العنصر المذكر–الفاعل، إلى ما يؤسِّس ويقيم؛ بينما يرمز الثاني، الذي يمثل العنصر المؤنث–المفعول، إلى ما يدعم ويحافظ. لذلك، واستنادًا إليه، فإنه ليس بوسع المؤرِّخ المستنير بضوء الفلسفة إهمال هذين العاملين – الأمر الذي قد يوصله إلى نتيجة هامة مفادها أن سجلات مؤسَّستنا هي في الحقيقة أقدم بكثير من العام 1717 الذي هو عام ولادة الم... الح... الحديثة...**".

لأن الأسطورة – وفي حالنا هذه تحديدًا – هي المفتاح الأساسي لتفهم ما حصل وجاء بعدها، وخاصةً أنه...



في 24 حزيران 1717، حين اتحدت أربعة محافل لندنية هي "الإوزَّة والمشواة" The Goose and the Gridiron و"التاج" The Crown و"شجرة التفاح" The Apple Tree و"الطاس وعناقيد العنب" The Rummer and Grapes فيما أسمته آنذاك "محفلاً أكبر"، فكان أول محفل أكبر تأملي من نوعه حتى ذلك الحين. وانتخبت أول "معلِّم أعظم" لها، كان حينئذٍ **أنتوني ساير**، الذي تلاه في العام 1718 **جورج باين**، ثم **جان تيوفيل ديساغولييه** (الفرنسي الأصل)، لتعود الرئاسة من بعدُ إلى **جورج باين**، ثم **دوق مونتاغو** في العام 1721، الذي شهدتْ الماسونية الإنكليزية في عهده، وعلى يده، انتشارًا واسعًا.

وكان في 17 كانون الثاني 1723 إقرار دساتير أندرسُن، أو ما سُمِّيَ وعُرِفَ بـ*دساتير الأخوية القديمة والمحترَمة للبنَّائين الأحرار والمقبولين*[10] – تلك القواعد التي أضحت، منذ ذلك الحين، ولم تزل تُعتبَر إلى اليوم، النصَّ الأساسي، إن لم نقل دستور الماسونية التأملية العاملة.


THE
CONSTITUTIONS
OF THE
FREE-MASONS.
CONTAINING THE
History, Charges, Regulations, &c.
of that most Ancient and Right
Worshipful *FRATERNITY.*
For the Use of the LODGES.

LONDON:
Printed by WILLIAM HUNTER, for JOHN SENEX at the Globe, and JOHN HOOKE at the Flower-de-luce over-against St. Dunstan's Church, in Fleet-street.
In the Year of Masonry — 5723
Anno Domini — — 1723

ثم انتشرت الماسونية بعد هذا انتشار النار في الهشيم في أوساط النخب الأوروبية المستنيرة، التوَّاقة إلى التحرر الفكري والانعتاق من جور كنيسة تلك الأيام وجمودها؛ فتوالدت محافلُها وتشعبت. فكانت محافل أخرى جديدة في إنكلترا واسكتلندا وإيرلندا. ثم انتقلت بعد هذا إلى القارة الأوروبية، ومنها إلى مختلف أصقاع المعمورة، ومن ضمنها طبعًا إلى بلداننا، حيث كانت الأرضية عامةً، وفي أوساط النخب المحلية خاصةً، مهيأة لاستقبالها – ما سنحاول تلمُّسه، قدر الإمكان، من خلال هذا البحث...



4

موجز تأريخي "ماسوني" مختصر

ونرى من الضروري هنا أيضًا التأكيد على ما قد يفاجئ القارئ، وأسميناه بـ"ماسونية" هذا الموجز التأريخي، ليس لأننا ماسون، الأمر الذي سبق وأكدنا على نفيه (أصدَّقتُم ما ندَّعيه بهذا الخصوص، أيها السادة، أم لم تصدِّقوا**!**)، إنما لأننا ارتأينا، لدواعي الدقة العلمية، من جهة، وتجنبًا للوقوع في خطأ جسيم أضحى مع الأسف شائعًا جدًّا، من جهة أخرى، الفصل والتمييز بين ما يورده الماسون أنفسهم، على اختلاف توجهاتهم،

من خلال أدبياتهم، كتأريخ رمزي وواقعي لحركتهم، وبين التاريخ (الفكري والسياسي) الإنساني العام، ومواقف الماسون خلاله، سواء كأفراد و/أو كتوجهات. ونبدأ من هنا، مؤكدين أيضًا على أنه...

لما كان من المستحيل، ضمن إطار محاولة بحث محدودة ومتواضعة كهذه، الإحاطة بتاريخ قد تتطلب الإحاطة به الآلاف المؤلفة من الصفحات فإن ما سنستعرضه ونركز الضوء عليه هو مجرد نقاط علام أساسية، إن لم نقل بعض التواريخ الهامة التي قد توضح، إلى حدٍّ ما، كيفية تطور الماسونية وانتشارها في القارة الأوروبية، أولاً، وفي فرنسا – التي ارتأيناها مثلاً معبِّرًا ومميَّزًا – من بعدُ تحديدًا؛ ومن خلال كلِّ هذا أيضًا، متابعة انتشارها في القارة الأمريكية ثانيًا. و... في مشرقنا العربي، ومن ضمنه بلدنا سوريا، خاصةً...

4-1

بعض التواريخ الأساسية المتعلقة بانتشار الماسونية أوروبيًّا وعالميًّا

- في 17 كانون الثاني 1723 كان إقرار *كتاب الدساتير* لجيمس أندرسُن.

- في 24 آذار 1924 شارك 12 محفلاً في انتخاب دوق مونتاغو رئيسًا للمحفل الإنكليزي الأعظم.

- في العام 1728 تأسَّس المحفل الإنكليزي الأكبر لفرنسا، الذي تلاه من بعدُ عددٌ من المحافل ذات التوجهات الإنكليزية. وقد استمرت الأوضاع على هذه الحال (في فرنسا) حتى العام 1756، حين تحرر هذا المحفل (الفرنسي) مما افتُرِضَ بأنه "وصاية بريطانية"، فأصبح اسمُه "المحفل الفرنسي الأكبر". أمَّا "الشرق الفرنسي الأكبر" فقد ولد في العام 1773.

- في العام 1731 كان تشكيل أول محفل في الولايات المتحدة الذي هو المحفل الأكبر لبنسيلفانيا. ثم تلاه في العام 1732 المحفل الأكبر لفرجينيا. ثم في العام 1791، في بوسطن، كان إنشاء أول محفل للسود في أمريكا ("محفل أمير الغال").

- في العام 1737 كان الخطاب الشهير لأندريه ميشيل دُهْ رامسي الذي وضع أُسُس الإيكوسية (وما أضحى يعرف من بعده بـ"الدرجات العليا").

- حوالى العام 1750 أسَّس "قبالي" من أصول برتغالية يدعى مارتينيز دي باسكوالي طقسًا ماسونيًّا سِرَّانيًّا أسماه بـ"مصطفي كوهين"، الذي كان مقره مدينة بوردو الفرنسية. وكان أحد أبرز ممثلي هذا الاتجاه حينئذٍ فيلسوف مغمور يدعى لوي كلود دُهْ سان مارتان، الذي أضحى هذا الطقس من بعدُ يعرف باسمه، أي الطقس الـ"مارتيني".

- في العام 1751 حصل أول انشقاق هام في قلب الماسونية الإنكليزية، فيما عُرِفَ حينئذٍ بالخلاف بين الماسون "المحدثين" (الذين كانوا الأقدم والأكثر ليبرالية) والماسون "القدماء" (الذين كانوا الأحدث

والأكثر محافظة). ثم عادوا فاتحدوا عام 1813، ليشكلوا المحفل الأكبر البريطاني المتحد.

– في العام 1801 تأسَّس في تشارلستون في الولايات المتحدة أول مجلس أعلى عالمي للـ"طقس الإيكوسي (أو الاسكتلندي) القديم والمقبول"؛ ذلك الذي أسَّس بدوره في العام 1804 في باريس ثاني مجلس أعلى عالمي.

– في العام 1842 كان إنشاء أول محفل ماسوني خاص باليهود في الولايات المتحدة الأمريكية. وقد أسمي هذا المحفل بالـ"بني بعريت" أو "أبناء العهد"[11] الذي انتشر من بعدُ بين النخب اليهودية في أوروبا والذي يتبع الطقس الإيكوسي الممارَس في المحافل الإنكليزية أو شبيهه الطقس الأمريكي المعروف بالأود فيلووز.

– في العام 1875 انعقد في مدينة لوزان في سويسرا مؤتمر ماسوني دولي تم فيه إقرار بيان وإعلان مبادئ. وكان أهم ما جاء فيه التأكيدُ على مفهوم "مهندس الكون الأعظم" الذي وُصِفَ حينئذٍ بالقوة العليا. ولكن في...

– في العام 1877، بحجة التمسك بالعلمانية، ألغى الشرق الأعظم الفرنسي من طقوسه الاستشهاد بمهندس الكون الأعظم، مما أدى حينئذٍ إلى انقطاع العلاقات بينه وبين المحفل الأعظم البريطاني المتحد. وأيضًا إلى...

– استقلال المحفل الفرنسي الأعظم في خريف العام 1895.

– في العام 1893 أسست السيدة ماريا دوميستر (التي نالت مسارَرتها في العام 1882 في محفل "المفكِّرين الأحرار" في بيك) أول توجُّه ماسوني مختلط (للرجال وللنساء)، أضحى يعرف من بعدُ بـ "الحق الإنساني"[12].



– في العام 1913 تأسَّس في فرنسا المحفل الأكبر المستقل والنظامي، الذي أضحى يُعرَف بالمحفل الوطني الفرنسي الأكبر.

– ومن هذا المحفل انبثق في العام 1935، "بالتبنِّي"، الاتحاد الماسوني النسائي الفرنسي، الذي تحول في العام 1952 إلى المحفل النسائي الفرنسي، منتقلاً بهذا من حالة "التبني" إلى حالة الاتباع المباشر للطريقة الإيكوسية القديمة والمقبولة...

ونستنتج مما سبق أول ما نستنتج أن للماسونية طقوسها وتوجهاتها المختلفة التي من الممكن – استنادًا إلى مصادرها – تعدادها إجمالاً كما يلي...

4-2

في المناحي و/أو التوجُّهات (الطقوس) الماسونية الرئيسية[13] Obédiences

- **الطقس القديم والمعدَّل** المتبع بشكل خاص في بلجيكا وهولندا؛ وهو قريب جدًّا من الطقس الحديث أو الفرنسي.

- **الطقس الإنكليزي للماسون القدماء الأحرار والمقبولين** الذي يتعاطى مع ما يعرف بماسونية القديس يوحنا، أي إضافةً للدرجات الثلاث الأول: 1. مريد، 2. رفيق، 3. أستاذ، ماسونية الفلك الملكي، أي الدرجات: 4. معلِّم مميَّز، 5. معلِّم قديم، 6. معلِّم ممتاز و7. فلك ملكي، وهو الطقس الذي يُعَدُّ، إلى جانب الطقس الإيكوسي، من الأكثر انتشارًا في إنكلترا وفي العالم.

- **الطقس الانتقائي Maçonnerie éclectique** الذي يتَّبعه المحفل الأكبر لفرانكفورت على الماين؛ وهو يرفض جميع الدرجات العليا ولا يعتمد إلا الدرجات الثلاث الأساسية الأولى؛ وهو، من حيث طقوسه، قريب جدًّا من الماسونية الإنكليزية.

- **الطقس الإيكوسي (أو الاسكتلندي) القديم والمقبول**، ذلك الأكثر شهرة الذي يتبع جميع الدرجات الرمزية التي نعددها كما يلي: 1. مريد، 2. رفيق، 3. أستاذ، 4. أستاذ مكتوم، 5. أستاذ كامل، 6. أمين ثقة، 7. قاض وحَكَم، 8. مدير الأبنية، 9. أستاذ مختار التسعة، 10. أستاذ مختار الخمسة عشر، 11. فارس أعلى منتخب (أو رئيس الأسباط الاثني عشر)، 12. مهندس معلِّم أعظم، 13. الفلك الملكي، 14. معلِّم قديم كامل، 15. فارس السيف، 16. أمير بيت المقدس، 17. فارس الشرق والغرب، 18. الأمير الأعظم للصليب الوردي، 19. الحبر العظم أو الإيكوسي الأعظم، 20. معلِّم أعظم محترم لجميع المحافل، 21. فارس بروسي أو أستاذ أعظم لمفتاح الماسونية، 22. الفأس الملكي أو أمير لبنان، 23. رئيس المظلة، 24. أمير المظلة، 25. فارس الثعبان البرونزي، 26. أمير الرحمة، 27. القائد الأعلى للمعبد، 28. فارس الشمس، 29. الاسكتلندي الكبير للقديس أندراوس الإيكوسي، 30. المنتخب الأعظم فارس قدوش، 31. القائد المفتش المحقِّق الأعظم، 32. الأمير السامي للسرِّ الملكي، 33. المفتش العام الأكبر الأعظم...

- **الطقس الإيكوسي (أو الاسكتلندي) الفلسفي:** ويتبع، إضافة للدرجات الثلاث الأولى غير المعلنة التي تصله بالماسونية الدولية، ثلاث عشرة درجة عليا يسميها بتسميات خاصة ذات طابع رمزي.

- **الطقس الإيكوسي (أو الاسكتلندي) البدائي:** وهو متَّبع في بلجيكا، ويتبع الدرجات العليا.

- **طقس فسلر أو المحفل الأعظم ليورك الملكية**: وكان يُتَّبع في ألمانيا عامة حتى العام 1800 ويمارس 9 درجات.

- **الطقس الفرنسي أو الحديث**: ويمارس الدرجات الثلاث الأولى، إضافة إلى الدرجات الأربعة العليا التالية: 4. المختار، 5. الإيكوسي، 6. فارس الشرق، 7. الصليب+الوردة.

- **طقس المحفل الأكبر ذو الكرات الثلاث**: ويُتَّبَع في برلين.

- **الطقس الهايتي (أو المارتيني).**

- **طقس هيريدوم أو طقس الكمال**: ويتبع خمسة وعشرين درجة.

- **طقس ممفيس–مصرايم**: ويتبع سُلَّم درجات عليا يختلف من حيث الظاهر عن الدرجات الـ33 المتعارف عليها. وهي تصل إلى التسعين درجة بالنسبة للطقس الممفيسي القديم وإلى الـ99 بالنسبة لطقس ممفيس–مصرايم المتحد.

- **الطقس أو النظام المعدل**: ويتبع خمس درجات.

- **طقس أو نظام شرودر**: ويتبع الدرجات الثلاث الأولى وبعض الدرجات العليا التي تستند إلى الفلسفة أو إلى الثيوصوفيا.

- **الطقس السويدي**: ويتبع اثنتي عشرة درجة، على رأسها ملك السويد.

- **طقس أو نظام سفيدنبرغ**: ويتبع ستَّ درجات.

- **طقس الهيكل**: وهو يشبه الطقس الفلسفي، ويتبع سبع درجات.

- **طقس أو نظام زينندورف**: ويتبع سبع درجات.

لكن المشكلة تبقى أن هذا الكلام، وبالتالي هذا التعداد، الذي، وإن كان يدل على وجود اختلافات "فعلية" في قلب الماسونية، إنما يبقى غريبًا وغير مفهوم بالنسبة إلى أناسنا العاديين الذين قد يحتاجون إلى شرح أكثر تفصيلاً وأكثر بساطةً للأمور، بلغة يُفترَض أن تكون اليوم أكثر عصرية؛ الأمر الذي قد يستدعي من قبلنا إعادة المحاولة من جديد، من أجل شرح وتفهم...

4-3

المناحي والتوجُّهات الأساسية للماسونية المعاصرة

ونجد في محاولتنا الجديدة هذه لإعادة تعريف الماسونية، استنادًا إلى ما يقوله أبناؤها عن أنفسهم، إنها، *كما كان (ومازال) يُفترض أن تكون*، مجرد: *"**تنظيم مساريري نقلي**، يستند إلى مبادئ الأخوة، ويشكل اتحادًا بين بشر أحرار ذوي أخلاق حسنة من كلِّ الأعراق والجنسيات والمعتقدات، ويعمل من أجل الإصلاح الأخلاقي للإنسانية..."*.

ونستزيد... لأننا، بعد أخذ العلم بأن في عالمنا اليوم (كما يقولون) ما يزيد عن الخمسة ملايين ماسوني، منتشرين في مختلف بلدان العالم، وملاحظة أن هؤلاء الذين كانت تفترض الأحوال (نظريًّا) تبعيَّتهم لـ"محفل أكبر" واحد في كلِّ بلد، هم، عمليًّا مشتتون، كما رأينا، بين مناحٍ وتوجهات مختلفة – اختلافات تعود في الحقيقة ربما إلى وجود على أرض الواقع، إن صحَّ التعبير، دوائر نفوذ بوسعنا تقسيمها بشكل عام إلى:

– **ماسونية–حرة أنكلوسكسونية التوجُّه** (وتشكل 80% منها من حيث عدد الأعضاء)؛ و...

– **ماسونية–حرة أوروبية التوجُّه** (تضم الباقين).

أما الماسونية الحرة التي تقع ضمن إطار التوجُّه *الأنكلوسكسوني*، التي تشكل 80% من الحركة الماسونية تقريبًا، فهي تدور في فلك توجُّهات المحفل الأعظم العالمي الأم الذي هو حاليًّا المحفل الأعظم الإنكليزي المتحد United Grand Lodge of England. وهذا يعترف، وفق مقاييسه، كما سبق وأسلفنا، بمحفل أعظم واحد فقط لكلِّ بلد. أما فيما يتعلق بالمقاييس أو نقاط العلام التي يعتمدها هذا التوجُّه فإن بوسعنا، بشكل عام، إيجازها بما يلي: الاعتراف بمهندس الكون الأعظم، إلزامية الكتاب المقدس، وإلزامية الزاوية والفرجار؛ كما أنه لا يقبل النساء مبدئيًّا في مجمل محافله.[14] أما...

الماسونية الحرة ذات التوجه *الأوروبي* فهي، بشكل عام، أكثر تنوعًا وأكثر ليبرالية، حيث تختلف مناحيها بين محافل "ليبرالية" (غير نظامية وفقًا للمفهوم الإنكليزي)، لا يلتزم بعضها الاعتراف أو التوجُّه إلى "مهندس الكون الأعظم"، وأخرى تقبل النساء في صفوفها و/أو محافل نسائية، و... محافل أخرى (نظامية) أكثر "محافظة" وأقرب إلى التوجُّه الأنكلوسكسوني أو تابعة له. لذلك فإننا، إن أخذنا على سبيل المثال لا الحصر، فرنسا كبلد نموذجي، لوجدنا أنه توجد هناك:

– **محافل نظامية وتقليدية** كـ:



- المحفل الفرنسي الكبير[15] La Grande Loge de France
- المحفل الأكبر الوطني الفرنسي[16] La Grande Loge Nationale Française

وهو المحفل الفرنسي الوحيد الذي يقيم علاقات نظامية مع المحفل الأعظم الإنكليزي المتحد؛ ويعتبر ثاني المحافل الفرنسية من حيث تعداد أعضائه.

- المحفل الأكبر التقليدي والرمزي – الأوبرا[17] La Grande Loge Traditionnelle et Symbolique – Opéra
- المحفل الوطني الفرنسي[18] La Loge Nationale Française
- المصلى الكبير لبلاد الغال Le Grand Prieuré des Gaules

– **ومحافل ليبرالية (غير نظامية)** كـ:



- الشرق الفرنسي الكبير [19] Le Grand Orient de France

وهو المحفل الرئيسي والأول في فرنسا.

- المحفل الأكبر النسائي الفرنسي[20] La Grande Loge Féminine de France
- التنظيم الماسوني الدولي المختلط أو الحق الإنساني[21] L'Ordre Maçonnique Mixte International – Le Droit Humain
- التنظيم المُسارَري والتقليدي للفن الملكي L'Ordre Initiatique et Traditionnel de l'Art Royal

– **ومنظمات (أو جمعيات) ماسونية أخرى**، أهمها:

- جمعية عشاق الحقيقة The Philalethian Society التي تأسست في العام 1928، وكان ينتمي إليها عدد من كبار الماسونيين، كالأديب روديارد كبلنغ وأوزفالد فيرث إلخ. وهي تشترط أن يكون جميع أعضائها من الفرمسون النظاميين.

5

حول انتشار الماسونية في بلدان المشرق العربي...

ونشير هنا إلى الشحّ الكبير جداً في المعلومات وفي الوثائق، حيث لا توجد أية دراسة جدية و/أو محايدة بهذا الخصوص. هنالك فقط بعض ما يقوله بعض كبار الماسون العرب الأوائل (وإنْ بلغتهم الخشبية) عن أنفسهم، كشاهين مكاريوس أو جرجي زيدان؛ وهناك أيضًا بعض ما قاله حينئذٍ بعض "معارضيهم"، وأهمهم في أوائل القرن الماضي الأب (اليسوعي) لويس شيخو، وحاليًّا الصديق د. حسين عمر حمادة. ومما قدمه هؤلاء، ومن وثائق أخرى، بوسعنا أن نقول، ولو بشكل أولي، أن نشوء الماسونية الحديثة في بلدان مشرقنا العربي إنما كانت نتيجة عاملين أساسيين اثنين هما:

- **أولاً:** الحداثة الأوروبية التي سرعان ما تلقَّفتْها في بلادنا نخبٌ كانت تتطلع إليها وتحاول تقمصها والاستفادة منها من أجل النهوض بأوطانها؛ و...

- **ثانيًا:** واقع وجود أساس محلِّي متمثل على أرض الواقع بتقاليد معرفية وسِرَّانية عريقة في هذه البلدان – كانت ذات يوم منبع الأديان السامية الثلاثة (على اختلاف تشعباتها) – كالقبالة بالنسبة لليهود، والغنوصية بالنسبة للمسيحيين، وخاصةً الطرق الصوفية والباطنية بالنسبة للمسلمين الذين يشكِّلون أغلبية سكان هذه البلاد...

لذا لم يكن نشوء وانتشار الماسونية الحرة في بلادنا أمرًا مستغربًا على الإطلاق – تلك التي يقول التاريخ أنها نشأت أول ما نشأت...

5-1

في مصر[22]...

في أواخر القرن الثامن عشر... حيث يتحدث هنا د. حسين عمر حمادة، فيقول إن *"... وضع الرحالة* محمود *خير الدين صاحب* الشورى[23]*كتابًا عن رحلاته مما جاء فيه... أن الماسونية الرمزية انبعثت في مصر عام 1798، عندما احتلها نابليون بونابرت. فقد أسس الجنرال كليبر وعدد من الضباط، وكانوا من "الأخوة الماسونيين" – كما يذهب جرجي زيدان*[24] *إلى تأكيد ذلك – محفلاً في شهر آب عام 1798* دعوه محفل إيزيس، *يعمل على طريقة ماسونية تسمى الطريقة الممفيسية أو الطريقة الشرقية القديمة..."*.

هذا وقد *"... تأسَّس في سنة 1838 في القاهرة محفل تحت رعاية المجلس العالي الممفيسي الفرنسي واسمه* مينيس. *وفي سنة 1845 تأسس في الإسكندرية تحت رعاية الشرق الأعظم الفرنسي محفل* الأهرام *الذي أسسه الفرنسيون بشرق الإسكندرية. وقد التحق به قسم عظيم من رجال البلاد من الوطنيين والأجانب، ومنهم الأمير حليم محمد علي باشا والأمير عبد القادر الجزائري و"الكلِّي الاحترام" سلفاتوري أفنتوري زولا..."* [25]

كما أنشأ *"... المحفل الأعظم الإنكليزي في القاهرة عام 1867 محافل رمزية تحت رعايته، منها محفل* الكونكورديا، *ومحفل* البلور؛ *ومعظم أعضاء الأخير من ضباط الجيش الإنكليزي. وبعد ذلك أسست محافل أخرى منها محفل كوكب الشرق..."* [26] الذي *"... كان*

يعمل باللغة العربية، [و]كان لا يؤمه إلا المصريون فحسب، و/أو من هم في حكمهم؛ منهم جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده اللذان بثا فكرة الاستقلال ومقاومة النفوذ الأجنبي في البلاد..." [27]

وأيضًا، لما *"... تعددت السلطات الماسونية بمصر، وكان إيمان الممفيسيين كبيرًا في نشر دعوتهم معتمدين على أساسين:*

أولاً: التخلص من التبعية الأجنبية.

ثانيًا: جلب العنصر الوطني إليهم.

فقد استندوا في تأسيس السلطة الماسونية الوطنية المصرية على أساس وحدة العمل والتسامح بالنسبة لجميع الطرق الماسونية المتبعة في مصر آنذاك، (حيث)...

- *... بشهر أيلول عام 1864... حصل الماسوني إسكاروترا على براءة من المجلس السامي الإيطالي للدرجة 33 للمملكة الإيطالية فرع وادي النيل؛* [و] ...
- *... عام 1865... حصل الماسوني بوريجار على براءة تأسيس مجلس البطاركة بدرجات 95 للعظماء المحافظين على طريقة ممفيس البنَّائية (الطقس الشرقي).*
- *... عام 1867... حصل الأمير عبد الحليم... على براءة تأسيس المحفل الأكبر الإنكليزي الإقليمي للبلاد المصرية وملحقاتها...".*

وفي 8 تشرين الثاني من العام 1864 *"... اجتمع عدد من قدماء الماسون يتقدمهم المركيز بوريجار، وقرروا تأسيس الشرق الأعظم المصري أو مجلس البطاركة..."* [28]

الذي تفرَّع عنه من بعدُ، في العام 1876، المحفل الأكبر الوطني المصري؛ هذا المحفل الذي أسَّس عدة محافل وترأَّسه السيد إدريس الراغب مدة 31 عامًا، وشهد انشقاقات عديدة.

وقد استمرت الماسونية عاملة في مصر بشكل علني وشرعي، حتى كان العام 1964 حين صدر "... قرار رسمي بإغلاق وحلِّ المحافل الماسونية في جميع أراضي الجمهورية العربية المتحدة..."[29] التي اكتشفت السلطاتُ يومئذٍ (أي بعد 12 عامًا من ثورة يوليو 1952[30]) أنها كانت تستعمل "رموزًا يهودية"... أما...

5-2

في بلاد الشام (لبنان، سوريا، إلخ)[31]

فيقول الأب (اليسوعي) لويس شيخو [32] بهذا الخصوص، نقلاً عن جرجي زيدان ودون التوسع الموثق في التفاصيل، *"... أن أول محفل تأسس في سورية قد تأسس في بيروت سنة 1862 تحت رعاية الشرق الأعظم الاسكوتلندي وعرف بشرق فلسطين رقم 415 وترأس عليه كثير من الأخوة الأفاضل. أما لغته الرسمية فالفرنساوية..."*. ثم *"... في السنة 1869 تأسس في بيروت محفل آخر تحت رعاية الشرق الأعظم الفرنساوي* [عُرِف] *بشرق لبنان ولغته الرسمية هي العربية. أما مخابرته مع الشرق الفرنساوي فبالفرنسوية. وكان رئيسه في أول أيامه الأخ ... جرجي الخوري ثم ترأسه نقولا حجي وكاتب الأسرار الأخ ... مكاريوس..."*. ثم أنشئت محافل أخرى، كمحفل *الزهرة* ومحفل *فينيقيا* ومحفل *السلام* ومحفل *صنين* ومحفل *المغارة السوداء* ومحفل *سورية* (في دمشق) ومحفل *سليمان الملوكي* في يافا إلخ.

أما د. حسين عمر حمادة،[33] الذي سيبقى كتابه الموثَّق حول *الماسونية والماسونيون في العالم العربي*، حتى إشعار آخر ورغم نواقصه، المرجع الأساسي الأهم حول هذا الموضوع، فيفيدنا إجمالاً بأن الماسونية نشأت أول ما نشأت في بلاد الشام؛ إنما كان...

- **في لبنان** حيث...

- كما يقول جرجي زيدان،[34] *"* [تأسَّس] *أول محفل في مدينة بيروت سنة 1862 تحت رعاية الشرق الأعظم الاسكتلندي* [وعُرِفَ] *بشرق فلسطين رقم 415، وقد ترأسه كثير من الإخوان الماسون من جملتهم قنصل إنكلترا. وانتظم في سلك العشيرة الحرة عدّد غفير من أعيان البلاد وثراتها، من وطنيين وأجانب، ولم يشتغل إلا بالدرجات الرمزية، أما لغته الرسمية فالفرنسية..."*.

- *"... وتأسس في بيروت سنة 1869 محفل آخر، تحت رعاية الشرق الأعظم الفرنسي،* [عُرِفَ] *بشرق لبنان، ولغته الرسمية العربية، أما اتصالاته مع الشرق الفرنسي فبالفرنسية..."*.

- ثم توسعت الحركة وتطورت، وخاصة على يد السيد شاهين مكاريوس الذي *"... كان يشغل عام 1881 مهمة كاتب سر محفل لبنان، وكان بالإضافة إلى ذلك مؤسِّس محفل اللطائف في مصر ومحفل* فينيقيا *في بيروت عام 189..."*،[35] أو على يد السيد جرجي يني الذي شهد أيضًا حينئذٍ تأسيس عدد من المحافل، حتى كانت الحرب العالمية الأولى والانتداب الفرنسي على سورية ولبنان...

- في العام 1923 كان يوجد في سورية ولبنان وفلسطين *"... ثلاثون محفلاً تضم نحو خمسة عشر ألف ماسوني، وتنتمي إلى أربعة* [أو خمسة] *شروق هي:*

  - *أولاً: الشرق الأعظم الاسكتلندي و* [كانت] *له تسعة محافل هي:*

- محفل السلام في بيروت؛ رئيسه الدكتور عفيش.
- محفل قاديشا في طرابلس؛ رئيسه عبد الله غريب.
- محفل فم الميزاب في ميناء طرابلس؛ رئيسه الأمير أسعد الأيوبي.
- محفل صنين في الشوير؛ رئيسه فارس مشرق.
- محفل الكرمل في حيفا؛ رئيسه باترو أبيلا.
- محفل طوروس في الإسكندرية؛ رئيسه قيصر صايغ.
- محفل إميسا في حمص؛ رئيسه الخوري عيسى أسعد.
- محفل جبل لبنان في الشويفات؛ رئيسه القس طانيوس عبده.
- محفل صلاح الدين في عكا.

▪ *ثانيًا: الشرق الأعظم الفرنسي و*[كانت] *له ستة محافل هي:*

- محفل لبنان في بيروت؛ رئيسه سعيد صباغة.
- محفل سورية في دمشق؛ رئيسه نعمان أبو شعر.
- محفل زهرة العاصي في حمص؛ رئيسه حسن موصلي.
- محفل أورنتس في حماه؛ رئيسه عيسى الباوي.
- محفل كسروان في جونية؛ رئيسه يوسف ثابت.
- محفل أرز لبنان في سوق الغرب؛ رئيسه حبيب الحتي.

▪ *ثالثًا: المحفل الأكبر الوطني المصري وله شرق إقليمي لسورية وفلسطين برئاسة الأستاذ الأعظم الداماد أحمد نامي، ومقام خليج بيروت للدرجة 18، ومقام الأرز في ميناء طرابلس وعشرة محافل هي:*

- محفل الرشيد في بيروت؛ رئيسه الدكتور حسن الأسير.
- محفل بيروت؛ رئيسه الشيخ إبراهيم منذر.
- محفل الثبات في بيروت؛ رئيسه حسن المخزومي.

- محفل الاتحاد في بيروت؛ رئيسه جميل بيهم.
- محفل دفنة في أنطاكية؛ رئيسه محمد آل يحيى.
- محفل الميناء الأمين في أسكلة طرابلس؛ رئيسه جرجي ندلي.
- محفل فينيقيا في بيروت.

وهذه المحافل السبعة كانت (للأستاذ الأعظم) محمد علي. و...

- محفل شرق بيروت؛ رئيسه فضل الله أبي حلقة.
- محفل الشمس؛ رئيسه مصطفى مخزومي.
- محفل الحاج؛ رئيسه يوسف الحاج.

وهذه المحافل الثلاثة الأخيرة (للأستاذ الأعظم) إدريس الراغب.

- رابعًا: المحفل الأكبر الفرنسي وكان له أربعة محافل هي:

- محفل الحكمة في بيروت؛ رئيسه لبيب الرياشي...
- محفل الشمس في بعلبك؛ رئيسه عبد الغني الرفاعي.
- محفل قاسيون في دمشق؛ رئيسه حسن الجندي.
- محفل الانبعاث في حلب؛ رئيسه نوري المدرس.

- خامسًا: الشرق الأعظم الإيطالي وكان له محفل واحد هو:

- محفل الأونيون في طرابلس؛ رئيسه موسى النحاس..." [36]

- أما بعد الاستقلال (عام 1965 مثلاً) فنسجل:[37]

- أولاً: وجود محافل تنهج الطريقة الأمريكية كـ:

- المحفل السوري الأمريكي؛ مركزه بيروت ورئيسه المستر سوان.
- محفل نيويورك؛ مركزه بيروت ورئيسه الأستاذ قمحين.
- محفل فخر الدين؛ مركزه بيروت ورئيسه سامي الحداد.

- محفل لبنان؛ مركزه بيروت ورئيسه فايز أسعد.
- محفل الشوف؛ مركزه بعلقين.
- محفل البردوني؛ مركزه زحلة ورئيسه جورج صليبا.
- محفل تربل؛ مركزه طرابلس ورئيسه ميشيل ديبي.
- محفل أميون؛ مركزه أميون (الكورة).
- محفل المرج؛ مركزه مرجعيون

▪ ثانيًا: وجود محافل ناهجة النهج الاسكتلندي بعضها قديم نسبيًا (بمعنى أنه كان موجودًا قبل الاستقلال)، وبعضها جديد هي:

- محفل السلام؛ مركزه بيروت ورئيسه عبد الله الرفاعي.
- محفل الميزاب؛ ورئيسه جاك بل.
- محفل زحلة؛ ورئيسه إيلي ليون.

▪ ثالثًا: وجود محافل أخرى أهمها:

- محفل الشرق الأكبر اللبناني السوري؛ مركزه بيروت ودمشق، له بضعة محافل فرعية، ويتصل باستمرار بالمنتمين إليه من الدول العربية.
- محفل حنين قطيني؛ مركزه بيروت وله بضعة محافل فرعية.
- محفل محمد بدر – الشرق العربي؛ وله بضعة محافل فرعية.
- محفل حنا أبي راشد؛ مركزه الحازمية بيروت؛ وتتبعه عدد محافل فرعية. وهو، كما تنعته المحافل الأخرى محفل نفعي، وقد سمح بدخول المرأة إلى صفوفه.
- محفل الشرق الأكبر اللبناني؛ مركزه بيروت، له بضعة عشر محفلاً فرعيًّا؛ رئيسه سليم الترك.[38]

ونشير هنا إلى أنه مازالت الماسونية مسموحًا بها في لبنان.

– **أمَّا في سورية...**

- فقد *"... دخلت (الماسونية) دمشق (سنة 1889) بمساعي الأمير عبد القادر الجزائري، و(كان) أول محفل تأسَّس فيها* هو ***محفل سوريا شرق دمشق***، *تحت إشراف شرق إيطاليا الأعظم..."* [39]. وكان الأمير عبد القادر الجزائري قد *"... سمع كثيرًا عن الجمعية الماسونية وما لها من صحيح المبادئ، فتاقت نفسه إلى الانضمام إليها واغتنم فرصة مروره بالإسكندرية أثناء عودته من الحجاز سنة 1864، فانتظم في سلوكها في 18 حزيران بمحفل الأهرام التابع للشرق السامي الفرنسوي، ووافقت مشاربه من كلِّ الوجوه، فأحبها وأحبَّ أهلها، ومال إليها وإليهم كثيرًا، وكان لا يخفي نفسه. وطالما جاهر أنه من أعضائها.* [40]



- أما رسميًّا فتقول الوثائق أنه تأسس *"**محفل سوريا شرق دمشق** تحت رعاية شرق فرنسا السامي بموجب براءة مؤرخة في 18 كانون الأول عام 1921، الموافقة لسنة الن... الح... 5921، تحت رقم 17043. وجرى افتتاحه وتأسيسه يوم الجمعة 24 شباط سنة 1922. وهو يجري أعماله طبقًا لدستور وقانون الشرق الأسمى، وهو يشتغل على الطريقة الإيكوسية القديمة والمقبولة"* [41]...

- وعام 1924 *"... تأسس **محفل إبراهيم الخليل** تحت رعاية المحفل الأكبر بولاية نيويورك. ومن مؤسِّسيه: داوود الماردينـي، مصطفى القبانـي، مصطفى شوقي، عثمان سلطان، خليل الهبل، توفيق بيضون، عبد الرزاق عابدين، رفيق الجلاد ومصطفى القلعي..."* [42]. كان من أهم أعضائه الأحياء حتى فترة ليست ببعيدة السيد بدر الدين الشلاح (الرئيس الأسبق لغرفة تجارة دمشق) الذي لم يجد في حياته أيَّ حرج بالمجاهرة بماسونيَّته.[43]



وأيضًا، كان هناك...

- **محفل نور الشرق**، ويحمل الرقم 1058، الذي كان *"... من أقدم المحافل الماسونية في سورية ولبنان،* [وقد] *ضم نخبة من الشخصيات العربية منهم: جبران لويس، فارس الخوري، مصطفى السباعي، عبده القدسي وأمين الأسطواني وعبد الرحمن الشهبندر..."* [44]. وكان يعمل تحت رعاية المحفل الاسكتلندي.[45] وأيضًا وخاصةً...

- كان هناك **محفل خالد ابن الوليد[46]** الذي كان يعمل تحت رعاية الشرق الأكبر المصري والذي كان عام 1938 برئاسة الأخ المحترم إبراهيم كنعان. وكان من بين أعضائه، حين كان مازال طالبًا بالمدرسة الحربية، جمال فيصل (الذي أصبح من بعدُ، بين عامي 1958–1961، قائدًا للجيش السوري). وأيضًا...

- في يوم الخميس 31/07/1924 اجتمع مندوبو المحافل المتحابة في سورية ولبنان في دار محفل سوريا، وكان عدد الوفود ستة وعشرين. *"... وعقدت الجلسة الأولى في الساعة الثامنة منه... برئاسة الأخ المحترم نعمان أبو شعر، أكبر هيئة المؤتمرين سنًّا. ثم انتخب* [الأخوان المحترمون] *جميل بيهم لرئاسة الأعمال، وسعيد صباغة لنيابة الرئاسة، وجبران تويني لكتامة السر، يعاونه منح هارون، سجعان عارج وسعيد الغزي. وقد واصل المؤتمرون اجتماعاتهم طيلة أربعة أيام متتالية، عقدوا خلالها سبع جلسات قانونية، ختمت في الساعة الثالثة من بعد الظهر يوم الأحد 3 آب 1924. وقد اتخذ المؤتمر قراراته التي جرى إبلاغها لمقام الشرق السامي الفرنساوي والمحفل الأكبر الفرنساوي ومنها: "... إن الحلفاء احتلوا بلادنا باعتبارها من أراضي العدو، وأنشأوا فيها الإدارات العسكرية المؤقتة، تلبية للضرورات العسكرية المؤقتة يومئذ... وظلت التشكيلات المؤقتة سارية إلى الآن، وقد نتج عن هذه الحالة اضطراب في التشريع والحياة السياسية والعلمية والعمرانية والقومية، لأن بقاء البلاد ست سنوات في حكم مؤقت غير ثابت يوقع الارتباك في فروع حياتهم جميعًا...""* [47]

وكان هنالك أيضًا عدة محافل أهمها...

- **محفل الزهرة**، وقد *"... تأسس قبيل الحرب الكونية الثانية، أسَّسه الأستاذ جورج كويتر... وقد تخلَّى عن السلطة المصرية في سنواته الأخيرة."* [48]

- **محفل العزيز** *"... أسسه الأستاذ إبراهيم كنعان، تحت سلطة المحفل الأكبر الوطني المصري. ثم عدل عنه لسلطة الشرق العربي..."*. وكذلك أيضًا وخاصة...

- **محفل طوروس بالإسكندرونة** الذي كان يحمل الرقم 1249، وكان *"... يعمل تحت رعاية المحفل الاسكتلندي بأدنبره..."*،[49] قبل أن يصبح من بعدُ تحت رعاية المحفل الأكبر السوري العربي.

- بتاريخ 14 آذار 1937، وبرعاية الشرق الأكبر المصري، جرى تدشين **المحفل الأكبر الإقليمي السوري** الشغَّال بالطريقة الإيكوسية القديمة والمقبولة، من اتحاد أربع محافل نظامية هي: 1. محفل قاسيون ش... دمشق. 2. محفل نور الشرق ش... دمشق. 3. محفل فاروق ش... دمشق. 4. محفل خالد بن الوليد ش... دمشق،[50] الذي كان يترأسه أيضًا الأخ إبراهيم كنعان والذي كان أيضًا تحت رعاية الشرق الأكبر المصري، وضمَّ عددًا من الشخصيات السورية الهامة...

- أما **الشرق الأعظم السوري** الذي كان أول شرق ماسوني (مستقل) في سورية، فقد تأسس في 23 نيسان 1937، وكان يعمل على الطريقة الإيكوسية القديمة المقبولة، ويمنح (بالتالي) الدرجات حتى الثالثة والثلاثين. وقد كان تحت إشرافه ستة عشر محفلاً موزعة في مختلف أنحاء سورية هي:

  - محفل الإيمان رقم 1 شرق دمشق.
  - محفل الأمل رقم 2 شرق دمشق.
  - محفل التوفيق رقم 3 شرق دمشق.
  - محفل الأندلس رقم 4 شرق دمشق.
  - محفل النهضة رقم 5 شرق دمشق.
  - محفل النجاة رقم 6 شرق حمص.
  - محفل الوادي رقم 7 شرق زحلة.
  - محفل الاتحاد رقم 8 شرق دمشق.
  - محفل الإنسانية رقم 9 شرق حماه.
  - محفل الغافقي رقم 10 شرق دمشق.
  - محفل الأنوار رقم 11 شرق حلب.
  - محفل الفيحاء رقم 12 شرق طرابلس.
  - محفل اليرموك رقم 14 شرق درعا.
  - محفل الأربعين رقم 15 شرق بانياس.

- محفل ذي قار رقم 16 شرق السويداء.

- وأيضًا، أنشئ **المحفل الأكبر الوطني اللبناني السوري** عام 1947، "*إثر إعلان استقلاله الماسوني عن السلطة المصرية. و[كان] يعمل تحت رعايته أحد عشر محفلاً ومقامان ومجلسان*" [51]، من أهمها كان محفل العروبة في حمص الذي كان رئيسه حينئذٍ السيد بشير المعصراني. وأيضًا...

- كان **الشرق الأعظم العربي السوري** الذي "*... أعلن تأسيسه عام 1947 إثر قطع العلاقة بين محفلي الزهرة والعزيز والمحفل الأكبر الوطني المصري... وكان يعمل تحت رعايته أربع محافل هي:*
  - *محفل العدل رقم 1 (رئيسه المحترم) الأستاذ شاكر الحنبلي.*
  - *محفل الزهرة رقم 2 (رئيسه المحترم) الأستاذ وجيه الحفار.*
  - *محفل العزيز رقم 3 (رئيسه المحترم) الأخ إبراهيم كنعان.*
  - *محفل الحكمة رقم 4 (رئيسه المحترم) د. حاج ويس.*" [52]

- وأخيرًا، وليس آخرًا، كان المحفل الأكبر السوري العربي الذي كان يترأسه سمو الأمير محمد سعيد حفيد الأمير عبد القادر الجزائري قطبًا أعظمًا، الذي دعا حينئذٍ، عام 1951، إلى الاستقلال التام ماسونيًّا، والذي كان من أعضائه كلٌّ من العقيد أديب الشيشكلي والزعيم فوزي سلو. هذا وقد كان يعمل تحت رعاية هذا المحفل المقامات والمحافل التالية:
  - مقام ابن الوليد لدرجة 18 رقم 4 شرق حمص.
  - مقام ابن هاني لدرجة 18 رقم 5 شرق اللاذقية.
  - مقام الشباب رقم 7 شرق دمشق.
  - محفل الجزيرة رقم 8 شرق القامشلي.
  - محفل أويس القرني رقم 10 شرق المعرة.
  - محفل الحرية رقم 11 شرق سيواس.
  - محفل الوطن رقم 12 شرق قصيري.
  - محفل طوروس رقم 13 شرق إسكندرون.

- محفل الشمس رقم 14 شرق دمشق.

معلومات مبعثرة ومشتتة، وتفتقر للدراسة والتعمق والتمحيص... لكنها إن كانت تدل على شيء فإنما تدل على سعة انتشار الماسونية في سورية، حتى كان العام 1965 وحلُّها رسميًّا بقرار من السلطات آنذاك،[53] مما قد يستدعي ربما...

6

كنتيجة ومحصلة لهذا الفصل الأول...

الإقرار بأن هذه الحركة، التي كان لها وجود واسع وتأثير عميق في بلدنا، حتى فترة قريبة، والتي ما زال لها تأثيرها ونفوذها في العالم عامة، وفي أوساط النخب والمثقفين خاصة، تستحق المزيد من البحث والتمحيص – الأمر الذي سنحاول تقصيه من خلال ما سيأتي من بحثنا...

***

الملحق رقم 1

مقتطفات من كتاب *الدساتير*

لجيمس أندرسُن

فيما يتعلق بالألوهة والدين

"بحكم التزامه، يُعتبر الماسوني مجبرًا، بالخضوع للقانون الأخلاقي؛ وإن كان فهم فنَّه جيدًا فإنه لن يكون أبدًا ذلك الملحد الأبله، ولا ذلك المتحرر اللاديني."

"رغم أنه في الأزمنة الغابرة كان إلزاميًّا، وفي أي بلد، أن يعتنق الماسون ديانة ذاك البلد، أية كانت هذه الديانة، فإننا نجد أنه من الأنسب عدم إلزامهم بأية ديانة تحديدًا، إنما تلك التي يتفق حولها جميع البشر، وأن تكون لهم كامل الحرية فيما يتعلق الأمر بآرائهم الخاصة. بالتالي، يكفي أن يكونوا أناسًا طيبين ومخلصين، أناسًا أصحاب شرف ونزاهة، وذلك أيًّا كانت الانتماءات الدينية أو القناعات التي تميِّزهم."

"هكذا تصبح الماسونية مركز اتحاد ووسيلة لإقامة علاقات صداقة بين أشخاص كانوا بقوا متفرقين لولاها."

وفيما يتعلق بالسلطة المدنية العليا أو التابعة لها...

"يعتبر الماسوني في الواقع تابعًا مسالمًا في كلِّ ما يتعلق بالسلطات المدنية، وأينما كان مقرُّ إقامته أو عمله؛ وبالتالي، لا يُفترض أن يتورط على الإطلاق في أية مؤامرة أو تآمر يمسُّ سلامة الأمة ورفاهيتها، ولا أن يتصرف بشكل غير لائق تجاه الحكام التابعين. إن الحرب وسفك الدماء، والثورات، كانت دائمًا مُضِرَّة بالماسونية."

... ...

"إذا حصل وتمرد أيٌّ من الأخوة ضد الدولة فإنه ينبغي عدم تشجيعه على ذلك، والتعامل معه في نفس الوقت برأفة، وكإنسان بائس الحال. وفي حال لم تتم إدانته بأية جريمة فإنه ليس بوسع الأخوية الوفية – التي يُفترض فيها أن تستنكر التمرد، من أجل عدم إثارة السلطات القائمة، وعدم إعطائها أيَّ مبرر سياسي يثير الشكوك – طرده من المحفل، بحكم كون العلاقات التي تربطهما علاقات لا تنفصم عراها."

ويحدد البند السادس "السلوكية داخل المحفل"...

"لا تدعو لخلافاتكم كأفراد أو لصراعاتكم أن تعبر عتبة هذا المحفل؛ وتجنبوا خاصةً أية نقاشات حول الديانات، والقوميات والسياسة، لأنه معروف أنه، بحكم كوننا ماسونًا، فإننا لا ندعو إلا لتلك الديانة العالمية التي ذكرنا أعلاه. ولأننا أيضًا من كلِّ الأمم واللغات والأعراق، فإننا نتجنب السياسة التي لم تؤدِّ في الماضي إلى ازدهار المحافل ولن تؤدي إلى ذلك في المستقبل."

***

عودة إلى النص

الملحق رقم 2

في الأسس والمبادئ التي تحدِّد نظامية أي محفل أكبر[54]



... بتاريخ 4 أيلول 1929 حدَّد المحفل الأعظم الإنكليزي المتحد United Grand Lodge of England المبادئ والأسس التي يتم بموجبها الاعتراف بنظامية أيِّ محفل أكبر. وهذه الأسس هي:

1. **نظامية الأصول:** بمعنى أنه يُفترَض بالنسبة لأيِّ محفل أكبر أن يكون مؤسَّسًا بشكل فعلي ونظامي من قبل محفل أكبر نظامي آخر معترف به أو مما لا يقل عن ثلاث محافل نظامية.

2. **الإيمان ب م... ك... أ...** (أي بـ"مهندس الكون الأعظم") وبتجلِّياته كإحدى الشروط الأساسية للأعضاء.

3. على جميع المسارَرين **القَسَم** بالتزامهم بواجباتهم **على الكتاب المقدس** مفتوحًا وواضحًا. بمعنى أن ما يتضمنه من وحي يصبح، بالتالي، مُلزِمًا لضمير الشخص المسارَر.

4. يجب أن يكون جميع أعضاء المحفل الأكبر والمحافل التابعة له **من الرجال حصرًا**. ومن غير المسموح لأيِّ محفل أكبر إقامة أية علاقات ماسونية مع محافل مختلطة أو مع منظمات تقبل النساء في صفوفها.

5. يجب أن يكون المحفل **سيدًا ومسيطرًا** على جميع المحافل التابعة له. مما يعني أنه يجب أن يكون مسؤولاً حرًّا وسيدًا في حكومته، وأن تكون له سلطة لا تناقش بالنسبة لدرجاته الرمزية (المريد والرفيق والأستاذ الماسوني) التابعين له. وعلى أية حال لا يُفترَض أن يكون منقسمًا على نفسه أو أن يشارك سلطته أيَّ مجلس أعلى أو أية سلطة أخرى قد تتطلب بعض السلطة أو الإشراف على هذه الدرجات.

6. يفترض أن تكون **أنوار الماسونية الكبرى الثلاث**، أي تحديدًا الكتاب المقدس والزاوية والفرجار، مبينة بشكل واضح في المحفل خلال أعماله؛ وأهمها الكتاب المقدس.

7. **يمنع في المحفل أيُّ نقاش له علاقة بالدين أو السياسة.**

8. يجب في أعمال المحفل الاتباع الدقيق **لنقاط العلام** القديمة Ancient Landmarks المحددة وللتقاليد والأعراف.

***

---

[1] *Annales Maçonniques Universelles*, mars-avril, 1933.

[2] *Dictionnaire Rhéa*, art. « Veuve ».

[3] *Rituel du grade de Maître*, p. 20-21.

[4] Ibid.

[5] *La Franc-maçonnerie rendue Intelligible à ses adeptes*, III. LE MAÎTRE.

[6] العهد القديم، سفر الملوك الثالث 7: 13-14.

[7] "The privileges of Masonry shall no longer be restricted to operative masons, but extend to men of various professions, provided they are regularly approved and initiated into the order." (Preston, *Illustrations of Masonry*)

[8] يُستعمَل تعبير ماسونية "تأملية" للتمييز بينها وبين الماسونية "العملية" التي كانت سائدة من قبل.

[9] *La Franc-maçonnerie rendue Intelligible à ses adeptes*, I. L'APPRENTI.

[10] James Anderson, " The Book of Constitutions of the Freemasons, containing the history, charges and regulations of that most ancient and right worshipful fraternity."

[11] قبل هذا التاريخ، بشكل عام، لم تكن الماسونية تقبل اليهود في صفوفها.

[12] تقليديًّا، لم تكن الماسونية تقبل النساء في صفوفها.

[13] F. Clavel, *Histoire de la Franc-Maçonnerie*.

[14] للمزيد من المعلومات بهذا الخصوص، راجع الملحق رقم 2 في نهاية هذا الفصل من بحثنا.

[15] Grande Loge de France : 8, rue Puteaux, 75017 Paris.

[16] Grande Loge Nationale Française : 12, rue Christine de Pisan, 75017 Paris.

[17] Grande Loge Traditionnelle et Symbolique : 9, Place Henri Barbusse, 92300 Levallois Perret.

[18] Loge Nationale Française : BP 154, 92113 Clichy Cedex.

[19] Grande Orient de France : 16, rue Cadet, 75009 Paris.

[20] Grande Loge Féminine de France : 60, rue Vitruve, 75020 Paris.

[21] Le Droit Humain : 5, rue Jules Breton, 75013 Paris.

[22] د. حسين عمر حمادة، *الماسونية والماسونيون في الوطن العربي*.

[23] محمود خير الدين، *الماسونية في مصر الإنسانية*، الجزءان 5 و6، دمشق، كانون الأول والثاني 1936 -1937، ص 175.

[24] جرجي زيدان، *تاريخ الماسونية العام*، مرجع سابق، ص 211.

[25] زكي إبراهيم، *صوت الماسونية أو التقويم الماسوني العام لمحفل منف*، مطبعة عطايا، 1928، ص 161.

[26] جرجي زيدان، مرجع سابق، ص 215-216.

[27] زكي إبراهيم، مرجع سابق، ص 162-163.

[28] عبد المجيد يونس، *المحفل الأكبر المصري*، مرجع سابق، ص ج ود.

[29] محمد علي الزعبي، *الماسونية في العراء*، بيروت، مطابع معتوق، 1976، ص 81.

[30] بلا تعليق.

[31] سنكتفي، ضمن سياق بحثنا هذا، بالتأكيد فقط عل سوريا ولبنان، محيلين القارئ الراغب في المزيد من المعلومات إلى كتاب السيد حسين عمر حمادة *الماسونية والماسونيون في الوطن العربي*.

[32] الأب لويس شيخو، *السر المصون في شريعة الفرمسون*.

[33] د. حسين عمر حمادة، *الماسونية والماسونيون في الوطن العربي*.

[34] جرجي زيدان، *تاريخ الماسونية العام*.

[35] د. حسين عمر حمادة، نفس المرجع.

[36] وديع نقولا حنا، "الماسونية في سورية: أسرار لم تُعلَن بعد"، *المعارف*، العدد السابع، السنة السادسة، تموز 1923، المطبعة الوطنية، بيروت.

[37] ج. ف.، "الماسونية ومؤتمرها الدولي المئوي عقده بلبنان"، *المسرة*، العدد 505، السنة 51، أيار 1965.

[38] المرجع السابق، حيث جاء أن هذا المحفل الذي لا تعترف به المحافل الأخرى في لبنان قد استأثر بتاريخ 13/11/1964 بترخيص من وزير الداخلية اللبناني. وقد اكتسب بالترخيص صفة الشرعية، فأصبح من حقِّه العمل العلني في لبنان. وأول أعماله كان عقد مؤتمر دولي للماسونية في لبنان بتاريخ 23–31 آب 1965.

[39] جرجي زيدان، *تاريخ الماسونية العام منذ نشأتها إلى اليوم*.

[40] شاهين مكاريوس، *فضائل الماسونية*، مصر، مطبعة المقتطف، 1899.

[41] النظام الداخلي لمحفل سوريا شرق دمشق باسم وتحت رعاية شرق فرنسا السامي سنة 1922.

[42] عبد الحليم الياس الخوري، *الماسونية ذلك العالم المجهول*.

[43] بدر الدين الشلاح، *للتاريخ والذكرى: قصة جهد وعمر*.

[44] نجدة فتحي صفوة، *الماسونية في الوطن العربي*، لندن، مطبوعات مركز الدراسات العربية.

[45] د. حسين عمر حمادة، *الماسونية والماسونيون في الوطن العربي*.

[46] نفس المصدر.

[47] قرارات المؤتمر الماسوني الذي عقدته المحافل المتحابة السورية اللبنانية في مدينة دمشق من 31 تموز إلى 3 آب سنة 1924، بيروت، مطبعة جريدة الأحرار.

[48] د. حسين عمر حمادة، نفس المرجع.

[49] عبد الحليم الياس خوري، نفس المرجع.

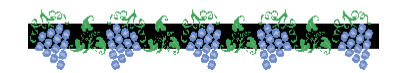
[50] حنا مالك، *بيان المحفل الأكبر الإقليمي لسورية – الطريقة الإيكوسية القديمة المقبولة*، دمشق.

[51] مجلة *كل جديد*، عدد خاص عن الماسونية، العدد الثامن، السنة الرابعة، آب 1948.

[52] نفس المرجع.

[53] صحيفة *البعث* السورية، "إلغاء المحافل الماسونية وأندية الروتاري في سوريا"، العدد 740، الثلاثاء 10 آب 1965.

[54] R.W. Christopher Haffner, *Regularity of Origin*.



للاتصال بنا

الهاتف: 3312257 - 11 - 963

العنوان: ص. ب.: 5866 - دمشق/ سورية

البريد الإلكتروني: maaber@scs-net.org

ساعد في التنضيد: لمى الأخرس، لوسي خير بك، نبيل سلامة، هفال